الباب الثاني

الخلافة العباسية وعلاقتها بالدول والإمارات في الشرق

الخلافة العباسية والعقيليين في الموصل والجزيرة

كان هناك علاقات قوية بين الخلافة العباسية والعقيليين من ناحية وبين البويهيين والعقيليين من ناحية أخرى وهذا واضحًا منذ قيام دولة بني عقيل التي حاول خلفاء بني العباس محاربة وجودها في أول الأمر، فلما تمكن أمير بني عقيل أبو الذواد محمد بن المسيب بن رافع بن مقلد بن جعفر أن يستولي على الموصل سنة ٣٨٠هـ بعد تخلصه من أبي الطاهر بن ناصر الدولة بن حمدان[١] رفض بهاء الدولة البويهي أن يعترف بإمارته، وبعث سنة ٣٨٢هـ نائبه ببغداد القائد أبا جعفر الحجاج بعسكر لمحاربة أبي الذواد وانتزاع الموصل منه، فتصدى له أبو الذواد وكافة بني عقيل في جمع كثر، وإزاء هذه الجموع الكثيرة طلب أبو جعفر المدد من بهاء الدولة فبعث إليه بالمدد[٢]، ونظرًا لوجود خلاف شديد بين القواد في عسكر بهاء الدولة، كانت النتيجة مهادنة بني عقيل[٣]، ولما توفي أبو الذواد محمد بن المسيب عام ٣٨٦هـ طمع أخوه المقلد في الإمارة.

لم يكن لدولة بني عقيل في الموصل نظام ثابت في تولية أمرائها الحكم، رغم أن

---

(١) هو الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي من ملوك الدولة الحمدانية كان صاحب الموصل وما يليها، ولقبه المتقي العباسي بناصر الدولة وخلع عليه وجعله أمير الأمراء وهو أخو سيف الدولة وأكبر منه، كان شجاعًا مظفرًا عارفًا بالسياسة والحروب، عاقلًا، لما توفي أخوه سنة ٣٥٦هـ، أصيب بالسويداء فحجر عليه بنوه وسيره ابنه فضل الله «الغضنفر» من الموصل إلى قلعة أرمشت مرفعها فتوفي فيها سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م ونقل إلى الموصل، وكانت إمارته اثنتين وثلاثين سنة وكان يداري بني بويه.

انظر المزيد في: وفيات الأعيان ١/ ١٤٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٥٧.

(٣) أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم ٣/ ٢٤٠-٢٤١.

النظام القبلي هو السائد في اختيار أميرهم؛ لذا طمع المقلد في الإمارة رغم وجود أخيه الأكبر علي بن المسيب، فلم تساعده عشيرته؛ لأن من عادتها تقديم الكبير من الأسرة، وفضلت أخاه علي؛ لأنه أكبر منه[١] فعمد المقلد إلى استمالة الديلم بالموصل الذين كانوا مع نائب بهاء الدولة أبي جعفر الحجاج، وكتب إلى بهاء الدولة يضمن منه الموصل بألفي ألف درهم في كل سنة، وقبل أن يصله رد بهاء الدولة على طلبه، أخبر أخاه علي بأن بهاء الدولة ولاه الموصل، لكن أبا جعفر نافسه فيها، وطلب من أخيه اتحاد الكلمة حتى ينسحب أبو جعفر فلبى علي دعوة أخيه وعلى هذا الأساس تمكنا من هزيمة أبي جعفر ثم فكَّر أخوه علي بن المسيب في الرحيل وترك الحكم لأخيه المقلد، لكن وزير طاهر بن منصور وجماعة من أصحابه حسنوا له مشاركة المقلد في الحكم وما زالوا يلحون عليه حتى استقرت الأحوال بينهما على إقامة الخطبة لهما وأن يقوم علي بحكم الإمارة، وتعيين عامل من قبلهما لجباية الأموال[٢].

يبدو أن بهاء الدولة رفض طلب المقلد في البداية بدليل أنه أرسل قواده لمحاربة المقلد ثم انتهت حروب قواد بهاء الدولة مع المقلد بالصلح على أن عمل المقلد إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار، ولا يأخذ من البلاد إلا رسم الحماية، ويخطب لأبي جعفر بعد بهاء الدولة وأن يخلع على المقلد الخلع السلطانية ويلقب بحسام الدولة، وفي هذا يحدثنا ابن الأثير[٣] وكان بهاء الدولة مشغولًا بمن يقاتله من عسكر أخيه فاضطر إلى المغالطة ومد المقلد يده فأخذ الأموال فبرز نائب بهاء الدولة ببغداد وهو حينئذٍ أبو علي بن إسماعيل وخرج إلى حرب المقلد فبلغ الخبر إليه فأنفذ أصحابه ليلًا

(١) خاشع عيادة المعاضيدي:: دولة بني عقيل في الموصل ص٧٢-٧٣ رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ١٩٦٦م.

(٢) أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم ٣/ ٢٨٠-٢٨١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٨١.

فاقتتلوا وعادوا إلى المقلد، فلما بلغ الخبر إلى بهاء الدولة بمجيء أصحاب المقلد إلى بغداد أنفذ أبا جعفر الحجاج إلى بغداد وأمره بمصالحة المقلد والقبض على أبي علي بن إسماعيل فسار إلى بغداد في أواخر ذي الحجة فلما وصل إليها راسله المقلد في الصلح، فاصطلحا على أن يحمل إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار، ولا يأخذ من البلاد إلا رسم الحماية ويخطب لأبي جعفر بعد بهاء الدولة، وأن يخلع على المقلد الخلع السلطانية ويلقب بحسام الدولة ويقطع الموصل والكوفة والقصر[١] والجامعين[٢] واستقر الأمر على ذلك وجلس القادر بالله له.

دبر المقلد في سنة ٣٨٧هـ مكيدة لأخيه علي انتهت بالقبض عليه، وأرسل إلى زوجته يطلب منها أن تهرب بها قرواش وبدران إلى تكريت، فنجت فإنه أقام بالموصل واستدعى وجوه بني عقيل وخلع عليهم، وأقطعهم فاجتمع عنده زهاء ألفي فارس، واختلفت عليه العرب حيث دعاه قوم إلى الصلح وصلة الرحم، فوافق المقلد، ولم يلبث أن أطلق سراح أخيه علي وأعاد إليه جميع ما أخذه منه وسر الناس بهذا الصلح[٣].

لما أطلق سراح علي بن المسيب اجتمعت العرب به وأشاروا عليه أن يحارب أخاه المقلد، فسار إلى الموصل وتمكن من دخولها وعندما سمع المقلد بذلك عاد إلى

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٥٤.

(٢) هو حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات وبين بغداد والكوفة، وهي الآن مدينة كبيرة آهلة.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/ ٩٦.

(٣) أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم ٣/ ٣٠٠-٣٠٢.

الموصل، وخرج إليه أخواه علي والحسن وصالحاه[١]، ثم اتجه المقلد إلى الأنبار لمحاربة أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي سبب تعصبه لأخيه علي[٢]. وانتهى القتال بينهما بانتصار المقلد، وفرار أبي الحسن علي بن مزيد إلى الرصافة، حيث التجأ إلى مهذب الدولة فأصلح بين المقلد وعلي بن مزيد ثم انصرف المقلد إلى دقوقا ففتحها، أما علي ابن المسيب فقد توفي عام ٣٩٠هـ[٣]، ولم يلبث المقلد أن قتل على يد غلام ترك تركي وخلفه ابنه قرواش سنة ٣٩١هـ[٤].

واجه قرواش أمير بن عقيل بعض الفتن ففي سنة ٣٩٢هـ، وانتفض علي بن مزيد الأسدي على بهاء الدولة واجتمع مع قرواش بن المقلد صاحب الموصل وقومه فحاصروا المدائن ثم بعث بهاء الدولة إليهم نائبه أبو جعفر الحجاج بالعساكر فانتصروا في أول الأمر عليه، ثم ما لبث أن أوقع بهم الهزيمة واستباح ملك بني مزيد[٥]، كذلك ثارت القلاقل في بغداد من سنة ٣٩٣ إلى سنة ٣٩٧هـ، عندما حدث خلاف بين عميد الجيوش أبي علي بن أبي جعفر، وبين أبي جعفر الحجاج نائب بهاء الدولة، واستعان كل منهما ببني عقيل وبني خفاجة وبني أسد، كما استعانوا بالأكراد، وتمكن أبو جعفر الحجاج من محاصرة بغداد مستعينًا بأمراء الأكراد وبعلي ابن مزيد الأسدي، لكن بهاء الدولة أوقع بهم الهزيمة سنة ٣٩٧هـ[٦].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٨٦.

(٢) خاشع عيادة المعاضيدي: دولة بني عقيل في الموصل ص٧٣ رسالة ماجستير.

(٣) أبو شجاع: المصدر السابق ذكره ٣/ ٣٠٤.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٢.

(٥) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٤٤١.

(٦) ابن خلدون: المصدر السابق ذكره ٣/ ٤٤١.

في سنة ٤١١هـ تعرض قرواش لهجوم من نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الذي تحالف مع غريب بن معن ومع عسكر من بغداد، واتجه الجميع لمحاربته فانهزم قرواش ومن معه، وأسر ونهبت خزائنه، ولما تخلص من الأسر توجه إلى أمير خفاجة سلطان بن الحسين بن ثمال لمعاونته فتعرض جماعة من الأتراك لهما غربي الفرات، وتمكنوا من التغلب على قواتهما وبذلك تيسر لنواب الأمير البويهي مد نفوذهم إلى البلاد التي كان يحكمها قرواش الذي ما لبث أن أرسل إلى بغداد ولاءه للخلافة العباسية[١].

تميزت العلاقات العباسية مع العقيليين بالطابع القومي، بعد أن تداعت أحوال العرب في خلافة بني العباس، أمام العناصر الأجنبية، وكان الخلفاء العباسيون يميلون إلى أمراء بني عقيل ويحترمونهم[٢]، وظل أمراء بني عقيل موالين للخلافة العباسية إلى أن تمكن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي أن يستميل إليه الأمير العقيلي قرواش سنة ٤٠١هـ بالهداية والرسل والمكاتبات، فأقام قرواش بن المقلد الخطبة للحاكم في ولاياته، وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها[٣]، حيث أحضر الخطيب يوم الجمعة رابع محرم من هذه السنة وخلع عليه، وأعطاه نسخة ما يخطب به[٤]، فبدأ الخطبة بقوله: «الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب، وانهدت بعظمته أركان النصب وأطلع بقدرته شمس الحق من الغرب» وفي آخر الخطبة صلى على آبائه المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزيز ثم الحاكم صاحب الوقت وبالغ في

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٣٠٨.

(٢) خاشع عبادة المعاضيدي دولة بني عقيل في الموصل ص٥٣.

(٣) ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص٣١١.

(٤) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢٤.

الدعاء لهم[١].

لما بلغ القادر بالله العباسي خبر إقامة الخطبة للخليفة الحاكم بأمر الله كتب إلى قرواش معاتبًا ما فعله، وفي الوقت ذاته طلب من بهاء الدولة محاربة قرواش فسير بهاء الدولة إليه عميد الجيوش بعد أن زوده بالمال، لكن قرواشًا عندما علم بالنبأ ندم على ما كان منه وأمر بقطع الخطبة للحكاام من بلاده، وخطب للقادر بالله على عادته[٢]، فأجازه الخليفة العباسي بثلاثين ألف دينار[٣].

يبدو أن بهاء الدولة أجاب الخليفة العباسي إلى طلبه احتفاظًا بنفوذه في بلاد العراق، والوقوف في سبيل كل من يعمل على الحد من هذه النفوذ وخاصة إذا علمنا أن الخليفة العباسي لم يكن له مع بني بويه من الأمر شيء سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة[٤]، ومن المرجح أن نفوذ القادر بالله على قرواش أصبح أكثر من ذي قبل ففي سنة ٤١٦هـ أرسل القادر إلى قرواش يأمره بإبعاد الوزير أبي القاسم المغربي فأبعده، فقصد نصر الدولة بن مروان بميافارقين[٥] على أن مما تجدر الإشارة إليه قرواشًا سبق أن سخط على هذا الوزير من قبل وقبض عليه سنة ٤١١هـ وأودعه السجن مع وزيره في الموصل أبي القاسم سليمان بن فهد، وكانا متهمين بأخذ أموال الناس، ولما طالبهما قرواش بالمال، ادعى سليمان الفقر فتخلص منه بينما استطاع الوزير أبو القاسم المغربي أن يخدع قرواش فوعده بمال له في الكوفة وبغداد، فأطلق

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٤٩، ٢٥١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣٤٣.

(٣)خاشع عيادة المعاضيدي: دولة بني عقيل في الموصل ص٥٤، ٥٥.

(٤) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٥٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٣٢٣.

سراحه[١].

كما أن قرواشها نفسه كان حريصًا على توطيد علاقته بالقادر بالله وبالبويهيين فيذكر لنا ابن الجوزي أن قرواشًا زَوَّج ابنته جباره من الأمير البويهي سنة ٤٠٨ هـ[٢].

ومما لا شكَّ في أن مثل هذه المصاهرات لها دور كبير لا ينكر في تقوية العلاقات السياسية في ذلك العصر، كما أن قرواشًا استعان بجلال الدولة البويهي سنة ٤٢ هـ عند محاربته للسلاجقة، لكن جلال الدولة لم ينجده بسبب زوال طاعته عن الجند، فساعده نور الدين وكافة بني عقيل، فسار قرواش معهم إلى الموصل ودارت الحرب بين الفريقين، وانتهت بانهزام قوات السلاجقة، وكتب قرواش إلى الأطراف يبشر بالنصر ومدح الشعراء قرواشًا بهذا النصر[٣].

وهكذا نلاحظ أن العلاقة بين العقيليين والعباسيين قامت على أساس تبادل المصالح بين الطرفين، فتقام الخطبة للخليفة العباسي في دولة بني عقيل مقابل دفاع الخلافة العباسية عنها ضد أي عدو يهدد مصالحها.

٢ـ العلاقات مع السامانيين في بلاد ما وراء النهر وخراسان:

ولي الخليفة العباسي المعتمد بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ نصر بن أحمد بن أسد الساماني[٤]، فاتخذ سمرقند مركزًا له، وأصبح نصر من القوة بحيث استطاع أن

(١) ابن الوردي تتمة المختصر في أخبار البشر ١/ ٥٠٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٨٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٣٤٢.

(٤) هو نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني أبو الحسن الملقب بالسعيد صاحب خراسان وما وراء النهر، مولده سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م ووفاته في بخارى سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م ولي =

يولي أخاه إسماعيل[١] بخارى في هذه السنة[٢]، حيث وضع إسماعيل حدًّا للاضطراب السائدة فيها منذ نشبت الحروب مع الصفارية[٣] على أن الخلافة سرعان ما ظهر بين نصر وإسماعيل وساءت علاقتهما بسبب الوشاة، وتطور الأمر إلى نشوب قتال بينهما سنة ٢٧٥هـ، حيث كان النصر حليف إسماعيل، لكن إسماعيل لم يجحد

= الإمارة بعد مقتل أبيه سنة ٣٠١هـ واستصغره أهل ولايته وكفله أصحاب أبيه وكاد ينفرط عقد إمارته إلا أنه ما لبث أن شب ذكيًّا مقدامًا، فجمع الجموع وقاتل الخصوم فامتد سلطانه واتسعت دائرة ملكه، فكانت له خراسان وجرجان والري ونيسابور وتلك الأطراف وكان حليمًا وقورًا، ومات بالسل وهو الذي كتب إلى المهدي الفاطمي، يقول:«أنا في خمسين ألف مملوك يطيعونني، وليس على المهدي بهم كلفه ولا مؤنة ، فإن أمرني بالمسير سرت إليه ووقفت بسيفي ومنطقتي بين يديه» وأجابه بخط يده أن يلزم مركزه «لكل أجل كتاب» مات سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م.

انظر المزيد في: صلة تاريخ الطبري ص٤٦، الفاطميون في مصر ٧٢-٧٤، تاريخ مختصر الدول ٢٨٧، اللباب ١/ ٥٢٣ شذرات الذهب ٢/ ٣٣١، الكامل ٨/ ١٣٠، العتبي ١/ ٣٤٩، تاريخ ابن خلدون: ٤/ ٣٣٦، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٧٥.

(١) هو إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان أبو إبراهيم ثاني أمراء الدولة السامانية في ما وراء النهر ، ولد بفرغانة سنة ٢٣٤هـ/ ٧٤٨م وولي بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد وأقره المعتضد العباسي في ولايته سنة ٢٧٩هـ، ثم ولاه خراسان مضافة إلى ماوراء النهر، وكان موفقًا في قمع الثورات، حازمًا في سياسته، وثق به المعتضد واعتمد عليه المكتفي، وصفا له جو الإمارة في خراسان وما وراء النهر إلى أن توفي في بخارى سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م كان يلقب بالأمير الماضي، وله اشتغل بالحديث وجمع أحد الفضلاء «شمائله» في كتاب.

انظر المزيد في : تاريخ سني ملوك الأرض ص١٥٢، شذرات الذهب ٢/ ٢١٩ العتبي ١/ ٣٤٨، الكامل ٨/ ٢، اللباب ١/ ٥٢٣، تاريخ ابن خلدون: ٤/ ٣٣٤.

(٢)د/ حسن إبراهيم حسن:: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٧٣.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٢٦٣.

فضل أخيه نصر السابق عليه إذ غفر له زلته معه وأكرمه وأعاده إلى مكانه ببخارى[١].

ولما ولي إسماعيل الإمارة بعد أخيه نصر، ظهرت الدولة السامانية بمظهر القوة وقامت بدور خطير في إزالة الدولة الصفارية، إذ إن إسماعيل الذي كان يحكم بلاد ما وراء النهر تمكن سنة ٢٨٧هـ أن ينتزع خراسان من عمرو بن الليث الصفار[٢] بعد قتال شديد كما أسره وبعث به إلى المعتضد ببغداد، حيث زج به في السجن ثم قتل سنة

(١) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ١/ ٣٥٤.

(٢) هو عمرو بن الليث بن الصفار ثاني أمراء الدولة الصفارية وأحد الشجعان الدهاة ولي بعد وفاة مؤسس الدولة أخيه يعقوب بن الليث سنة ٢٦٥هـ، وأقر المعتمد العباسي على أعمال أخيه كلها، وهي: خراسان، وأصبهان وسجستان ، والسند وكرمان فأقام ست سنين وعزله المعتمد سنة ٢٧١هـ، فامتنع فيسير إليه جيشًا فانهزم الصفار إلى كرمان ثم قاتل عسكر الموفق سنة ٢٧٤هـ، ورده عن كرمان وسجستان ورضي عنه المعتمد سنة ٢٧٦هـ فولاه شرطة بغداد وكتب اسمه على الأعلام، وولاه المعتضد خراسان بعد وفاة المعتمد سنة ٢٧٩هـ، وأضاف إليه الري سنة ٢٨٤هـ ثم ولاية ما وراء النهر، قال ابن الجوزي: في حوادث سنة ٢٨٦هـ: «ووردت يوم الخميس لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة هدية عمرو بن الليث من نيسابور، وكان مبلغ المال الذي وجه به أربعة آلاف درهم مع عشرين من الدواب بسروج ولجم محلاة ومائة وعشرين دابة بجلال مشهرة وكسوة حسنة وطيب وبزاه وطرف» وعظمت مكانته عند المعتضد، فطلب أن يوليه ما وراء النهر، فجاء اللواء بذلك، وهو بنيسابور وامتنع عليه إسماعيل بن أحمد الساماني «وكان والي ما وراء النهر فنشبت بينهما معارك انتهت بظفر الساماني في «بلخ» وأسر الصفار سنة ٢٨٧هـ فبعث المعتضد إلى الساماني بولاية خراسان وأمر بالصفار فجيء به إلى بغداد فسجن فيها إلى أن توفي سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م وقيل خنق قبل موت المعتضد بيسير.

انظر المزيد في: الكامل ٧/ ١٧٠، تاريخ ابن خلدون: ٤/ ٣٢٦، العتبي ١/ ٣٤٨، المنتظم ٦/ ١٧، ٣٧.

٢٨٩هـ، ولما علم محمد بن زيد العلوي[١] صاحب طبرستان بأسر ابن الصفار بادر بالمسير إلى خراسان للاستيلاء عليها، فتصدى له جيش إسماعيل الساماني ودار بينهما قتال انتهى بهزيمة جيش العلوي ووفاته بعد أيام، وأسر ابنه زيد في المعركة الذي أرسل إلى إسماعيل الساماني فأكرمه[٢]، وهكذا تم لإسماعيل الساماني الاستيلاء على خراسان، وما وراء النهر وجرجان وطبرستان وقومس[٣] والري وقزوين وأبهر[٤] وزنجان[٥]، كما تمكن من قمع الأتراك وإذلالهم[٦].

لم يل بعد نصر وإسماعيل أمير قدير من السامانيين، ومع ذلك ظلت الولاية

---

(١) هو محمد بن زيد بن إسماعيل بن الحسن العلوي الحسني صاحب طبرستان والديلم ولي الإمارة بعد وفاة أخيه الحسن بن زيد سنة ٢٧٠هـ، وكانت في أيامه حروب وفتن وطالت مدته وكان شجاعًا فاضلًا في أخلاقه، عارفًا بالأدب والشعر والتاريخ، أصابته جراحات في واقعة له مع محمد بن هارون من أشياع إسماعيل الساماني على باب جرجان فمات من تأثيرها سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م.

انظر المزيد في: الكامل ٧/ ١٦٦، تاريخ الطبري ١١/ ٣٧٠، الوافي بالوفيات ٣/ ٨١.

(٢) ابن الوردي تتمة المختصر في أخبار البشر ١/ ٣٦٧.

(٣) هي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها وقصبتها المشهورة دامغان وهي بين الري ونيسابور.

انظر: معجم البلدان ٤/ ٤١٤-٤١٥.

(٤)وهي مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل.

انظر: معجم البلدان ١/ ٨٢-٨٤.

(٥) بفتح أوله وسكون ثانيه ثم جيم وآخره نون، بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها وهي قريبة من أبهر وقزوين.

انظر: معجم البلدان ٣/ ١٥٢-١٥٣

(٦) الاصطخري المسالك والممالك ص٨٦.

وراثية في البيت الساماني نحو مائة سنة ويرجع السبب في ذلك إلى الجهود الطيبة التي بذلها نصر وإسماعيل لتوطيد ملك السامانيين فيما وراء النهر إلى النظم الإدارية الدقيقة التي وضعها نصر، وإلى ضعف الخلافة العباسية في ذلك الوقت[١].

ولي الحكم بعد إسماعيل أبنه أحمد سنة ٢٩٥هـ، وتم زوال الدولة الصفارية على يديه ففي المحرم من هذه السنة استولى السامانيون على سجستان من يد المعدل بن علي بن الليث الصفاري[٢].

قدرت الخلافة العباسية للسامانيين إخلاصهم، فجعلت بلاد ما رواء النهر إقليمًا منفصلًا عن خراسان وأقرتهم عليه في بادئ الأمر، ولم تمتد أطماع السامانيين إلى بلاد العالم الإسلامي في الشرق[٣]؛ لذا كانت علاقة السامانيين مع العباسيين تقوم على أساس المودة والمصالح المتبادلة، فكان الخلفاء يعتمدون عليهم في إقرار سلطانهم في بلاد المشرق[٤] ومما يدل على هذه العلاقة الطيبة بين السامانيين والخلافة العباسية أن الوزير «علي بن عيسى» اقترح على الخليفة المقتدر عندما هاجم القرامطة بغداد أن يلجأ إلى خراسان، كما أن السامانيين احترموا الخلفاء العباسيين، باعتبارهم زعماء مذهبهم السني، كذلك حرصوا على استصدار العهود من الخليفة بتوليتهم، وعملوا على مطاردة أتباع المذاهب غير السنية وخاصة الإسماعيلية[٥].

وليس هناك دليل على أن السامانيين دفعوا جزية منتظمة للخليفة العباسي منذ

---

(١) د/ جمال الدين الشيال: تاريخ الدولة العباسية ص٧٩.

(٢) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٧٤.

(٣) حسن محمود وأحمد الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٤٦٦-٤٦٩.

(٤) د/ عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق ص٨.

(٥) د/ جمال الدين الشيال: تاريخ الدولة العباسية ص٨١.

انتصارهم على عمرو بن الليث الصفار، كما أنهم حصلوا على حق من الخليفة العباسي بذكر اسمهم في الخطبة، ونقش الأمراء السامانيون أسماءهم على الدنانير إلى جانب اسم الخليفة[١].

بدأ الصراع بين السامانيين وبني بويه في أيام نوح بن نصر الذي عمل على استرداد الري من يد ركن الدولة ابن بويه، وتفاقم النزاع بينهما، وانتهى بهزيمة جيوش نوح بسبب انضمام جنده إلى البويهيين، بيد أن نوحًا أعد العدة من جديد لمحاربة ركن الدولة والاستيلاء على الري، وتمكنت جيوشه من الاستيلاء عليها وعلى بلاد الجبل في شهر رمضان سنة ٣٣٣هـ[٢]، وتوفي نوح في ربيع الآخر سنة ٣٤٣هـ وخلف أبنه عبد الملك في خراسان[٣]، لكن أيامه لم تطل فولي الأمر من بعده سنة ٣٥٠هـ أخوه منصور بن نوح الساماني[٤].

لما علم محمود بن سبكتكين سنة ٣٨٨هـ بولاية بكتوزون خراسان أرسل إلى الأمير منصور بن نوح يذكر طاعته له ويطلب منه خراسان فلم يجب طلبه وولاه ترمذ وبلخ وما وراءها من أعمال بست، وهراة، فلم يقنع بذلك وأعاد الطلب فلم يحق له الأمير منصور طلبه، فسار محمود إلى نيسابور وبها بتكوزون لمحاربته، ولما بلغ بكتوزون خبر مسيره رحل عنها فدخلها محمود واستولى عليها[٥] على أن بكتوزون وفائق الخاصة ما لبثا أن تأمرا على خلع الأمير منصور ووليا أخاه الصغير عبد الله

(١) د/ عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص١٢٣.
(٢) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٧٧.
(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢٩٢.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٣٨.
(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٩١.

مكانه ثم اتفق فائق وبكتوزون وعبد الملك بن نوح على محاربة محمود بن سبكتكين ودارت الحرب بين الفريقين بمرو في أخر جمادى الأولى سنة ٣٨٨هـ، انتهى الأمر فيها بهزيمتهم وانتصار محمود وارتد عبد الملك وفائق الخاصة إلى بخارى، أما بكتوزون فقصد نيسابور فتبعه محمود من بلد إلى بلد إلى أن فرَّ هاربًا واستقر محمود بخراسان[١] فأزال عنها نفوذ السامانيين، وأقام فيها الخطبة للخليفة القادر بالله العباسي.

كان مما عجل بزوال دولة السامانيين أن عبد الملك السامانى عين المملوك التركي «البتكين» قائدًا عامًّا في خراسان رغبة في إقصائه عن العاصمة، بعد أن تعاظم فيها سلطانه، فلما توفي عبد الملك انسحب «البتكين» إلى «غزنة» وكان أبوه حاكمًا عليها من قبل[٢] كان أن اعتماد السامانيين على الأتراك في جيوشهم وهم من العناصر التي ثبت خطرها على الدول المعاصرة لهم، كان له أثر بالغ في إضعاف دولتهم، والتعجيل بزوال حكمهم، ذلك أن هؤلاء الأتراك ما لبثوا أن تقلدوا المناصب العالية في الجيش والإدارة المدنية، وأصبحوا خطرًا عليهم بسبب السلطات الواسعة التي استأثروا بها[٣] هذا إلى جانب النزاع الذي وقع بين أفراد البيت السامانى، وخروج القواد وعمال الأطراف عليهم، واستعانة بعض هؤلاء القواد وعمال الأطراف ببني بويه، مما أضعف الدولة السامانية وأدى إلى زوالها في النهاية[٤].

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق ذكره ٧/ ١٩٦-١٩٧.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٢٦٦.

(٣) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٨٥.

(٤) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٨١.

٣ـ الغزنويون والخلافة العباسية:

لم تعترف الخلافة العباسية بالدولة الغزنوية التي قامت سنة ٣٥١هـ[١] إلا في عهد زعيمها سبكتكين سنة ٣٦٦هـ الذي استطاع بحكمته وحُسن إدارته أن يكتسب محبة رعاياه واحترام جيرانه، فاعترف الخليفة العباسي الطائع بحكومته، وأسبغ عليها الصفة الشرعية، وبعث إليه من بغداد بالعقد والخلع التقليدية[٢]، ولما توفي سبكتكين عام ٣٨٧هـ خلفه أبنه إسماعيل بعهد منه[٣] إلا أن أخاه محمود الذي كان مقيمًا بنيسابور، عند موت أبيه طلب منه أن ينزل عن الحكم، وبين له أن والده عهد إليه بالحكم، وأخذ يذكره بأن الكبير هو الذي يقدم في الحكم[٤]، لكن إسماعيل لم يوافق على مطالب أخيه محمود فسار محمود من نيسابور إلى هراة عازمًا على قصد أخيه بغزنة وتمكن محمود من الانتصار على أخيه[٥] وعامل أخاه إسماعيل بعد انتصاره عليه معاملة كريمة[٦].

كان أول نشاط حربي لمحمود الغزنوي عقب تولية الحكم في غزنة استيلائه على خراسان سنة ٣٨٨هـ، وذلك عندما اتفق كبار رجال الجيش مع بكتوزون وفائق على خلع منصور بن نوح وتوليه أخيه عبد الملك بعد أن حكم منصور سنة وسبعة أشهر ثم قاتل محمود السامانيين إلى أن هزمهم، واستولى على خراسان وقطع منها خطبة

---

(١) أحمد أمين: ظهر الإسلام ١/ ٢٧٧.

(٢) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص٢٦٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٨٤.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٣١٠.

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق ذكره ٧/ ١٨٥.

(٦) سيد أمير علي: المرجع السابق ذكره ص٢٦٩.

السامانيين[١]، وأقام الخطبة للخليفة القادر بالله وبعث إليه خطابًا مفصلًا يصف له فيه كيف حارب السامانيين وانتصر عليهم[٢] كما كتب إلى الخليفة العباسي سنة ٤٠٤هـ يلتمس منه الاعتراف به أميرًا على غزنة، فأرسل إليه الخليفة القادر بالله يقره أميرًا عليها وأنعم عليه بالخلع الخليفية ولقبه بيمين الدولة وأمين الدولة[٣]، ثم لقبه بلقب السلطان، وكان محمود أول من لقب به بعد أن كان يلقب بأمير، وظهرت هذه الألقاب على السكة التي تحمل اسمه[٤].

كما أن فتوحات محمود الغزنوي في الهند ونشره الإسلام في بعض أنحائها، كان لها أثر بالغ في نفس الخليفة العباسي القادر بالله الذي كان يسره نشر الإسلام في تلك البقاع[٥].

بدأ محمود غزواته للهند سنة ٣٩٢هـ حيث لقي ملك الهند «جيبال» وأسره وحصل المسلمون على كثير من الغنائم والأموال[٦]، وبعد هذا النصر الذي أحرزه محمود رحل على «ويهند» فأقام عليها محاصرًا لها إلى أن تمكن من إخضاعها[٧].

وفي سنة ٣٩٥هـ غزا محمود الغزنوي مدينة «بهاطية» وتقع إلى جانب المولتان فاحرز النصر على واليها «بحيرا» وأقام محمود بهذه المدينة فترة من الزمن يرتب

(١)ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٩٦-١٩٧.
(٢)الصابي: تاريخ هلال بن الصابي ص٣٤١.
(٣)ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٥٢.
(٤)آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/ ٢٦٠.
(٥) أحمد الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ٦٧.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣٣٠.
(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٢١٤.

أمورها ويصلح شئونها ثم رجع إلى غزنة بعد أن عين بها من يرعى أمورها ويعلم الناس الإسلام فيها[١].

وفي سنة ٣٩٦هـ غزا محمود المولتان وترجع أهمية هذه المدينة إلى صنم بها تعظمه الهنود ويحجون إليه[٢]، وكان طريقة إلى المولتان يمر على بلاد ملك الهند «انديال» فكتب إليه يستأذنه أن يمر بأرضه إلى المولتان فرفض ملك الهند تحقيق طلبه، فغزا محمود بلاده واستولى عليها، ثم سار إلى المولتان، فلما سمع واليها أبو الفتوح بما جرى لملك الهند «انديال» رأى أنه لا طاقة له بمحاربة محمود فأخلى المولتان فوصل يمين الدولة إليها وحاربها وفتحها عنوة[٣].

واصل محمود فتوحاته في بلاد الهند، ففي سنة ٤٠٤هـ اتجه إلى وسط تلك البلاد حيث قاتل هنا أعداءه من الهنود إلى أن تم له النصر وغنم ما معهم من مال وسلاح ثم عاد إلى غزنة وأرسل إلى الخليفة له ذلك ولقبه نظام الدين[٤].

وفي سنة ٤٠٧هـ استولى محمود على خوارزم ثم سار منها إلى غزنة ومنها إلى الهند، عازمًا على غزو قشمير «أو كشمير» فلما بلغ دربها أتاه صاحبها وأسلم على يده ففتحها محمود صلحًا وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة[٥].

واصل محمود فتوحاته في بلاد الهند سنة ٤٠٩هـ حيث خرج بأمر الخليفة القادر

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق ٧/ ٢٢٦.

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك ص١٠٣.

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق ٧/ ٢٢٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٢٧٠.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٨٤.

بالله من غزنة يوم السبت عشر من جمادى الأولى لقتال الهنود، ففتح مدنًا كثيرة وقلاعًا شهيرة، ومن جملتها مدينة «مهورة» وكانت هذه المدينة تشتمل على زهاء ألف قصر من القصور الشاهقات إلى جانب ألف بيت للأصنام[١]، فاستولى محمود على هذه المدينة، وغنم ما بها من أموال، وبعث في سنة ٤١٠هـ إلى القادر بالله كتابًا يذكر له فيه ما افتتحه من بلاد الهند، فانعم الخليفة عليه بالألقاب والخلع[٢]، كما بعث محمود الغزنوي بكتاب آخر إلى الخليفة القادر بالله سنة ٤١٤هـ يذكر له فيه أنه دخل بلاد الهند وصالحه بعض ملوكهم وحمل إلي هدايا ثمينة[٣].

كانت أعظم غزوات محمود في عام ٤١٦هـ عندما فكر في تحطيم صنم سومنات[٤]، حيث بلغه أنه كلما فتح الهنود فتحًا، وكسر صنمًا، قال الهنود: إن هذه الأصنام عليها سومنات، ففكر محمود الغزنوي في تحطيم هذا الصنم حتى يدخلوا في الإسلام ويشاهدوا بأنفسهم أن هذا الصنم لا يملك لهم نفعًا ولا حيلة ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه وفي اليوم العاشر من شعبان سنة ٤١٦هـ سار محمود من غزنة ومعه ثلاثون ألف فارس وسلك طريق الملتان إلى أن وصل إلى سومنات، فقاتل المسلمون الهنود قتالًا شديدًا لم يعهدوا مثله من قبل، واستماتت الهنود في القتال رافضين الاستسلام، ثم اضطروا إلى الهرب فاستقلوا مركبين طالبين النجاة، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضهم وغرق البعض الآخر.

وهكذا تم النصر للمسلمين واستولى محمود على جميع ذخائر المعبد ومجوهراته

---

(١) ابن دحية: النبراس ص١٢٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٩٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٦.

(٤) مدينة ساحلية متسعة بها علماء الهنود وعبادهم والصنم المعروف بها يسمى «اليد».

بعد أن هدمه[١]، ثم بعث يمين الدولة سنة ٤١٨هـ كتابًا إلى الخليفة القادر بالله يذكر له فيه ما فتحه من بلاد الهند وكسره الصنم المعروف بسومنات[٢].

وفي سنة ٤٢٠هـ تمكن محمود الغزنوي من فتح الري وإزالة سلطان البويهيين منها، ومن بلاد الجبل وبعث كتابًا مفصلًا للخليفة القادر بالله يخبره فيه بأنباء هذا الانتصار ويشرح له فيه محاربته المعتزلة والفلاسفة والروافض[٣]، وكان الخليفة القادر بالله قد سبق له أن طلب من محمود الغزنوي محاربة هذه الفرق فامتثل له محمود الغزنوي لأمر الخليفة القادر بالله سنة ٤٠٨هـ وسنى بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها[٤].

وقد برهن السلطان محمود الغزنوي على إخلاصه للخليفة العباسي القادر بالله عندما مزق الكتاب الذي وصله من الخليفة الفاطمي لإعزاز دين الله يستميله فيه إليه ويدعوه إلى طاعته، كما بعث إلي خلعًا نفيسة[٥]، وأنفذ السلطان محمود إلى الخليفة القادر بالله سنة ٤١٦هـ هذه الخلع التي أرسلها إليه الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله، وبعث مع الرسول كتابًا قال فيه: أنا الخادم الذي أرى الطاعة فرضًا، وأشار إلى الخلع التي أرسلها إليه الخليفة الفاطمي، وأنه يبعث بها إليه ليتصرف فيها بما يرى، فأمر الخليفة القادر بالله بإحراقها على باب النوبي فأحرقت واستخرج منها

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٣٢٠-٣٢١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٢٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٣٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٦.

(٥) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ص٢٦٣.

كثيرًا من الذهب تصدق به على ضعفاء بني هاشم[١].

عهد محمود الغزنوي قبيل وفاته سنة ٤٢١ هـ بالحكم لابنه محمد الذي كان مقيمًا ببلخ، متجاهلًا ابنه الأكبر مسعود لاستيائه منه[٢]، ولما قدم محمد من بلخ إلى غزنة، بعد موت أبيه بأربعين يومًا، اجتمعت العساكر على طاعته وأقيمت الخطبة له من أقاصي الهند إلى نيسابور[٣]، أما مسعود فإنه كان مقيمًا بأصبهان وعندما سمع بخبر وفاة أبيه سار إلى خراسان ثم إلى الري، ومنها سار إلى نيسابور، وكتب إلى أخيه محمد يقول له: أنه لا يريد من البلاد التي أوصى بها أبوه شيئًا، ويكتفي بما فتحه من بلاد طبرستان، وبلد الجبل وأصبهان وغيرها، ويطلب منه الموافقة على ذلك، في مقابل أن يقدم اسمه على الخطبة على نفسه، فأخذ محمد يهادنه مدة مضمرًا في نفسه الشر لأخيه، وشرع يعد الجيوش لمحاربة أخيه مسعود، وجعل عمه يوسف بن سبتكتكين في مقدمة جيشه، وأخذ العهود والمواثيق من عسكره بالطاعة والولاء له، وسار لمحاربة أخيه، وكان بعض عساكر محمد يميلون إلى مسعود لكبر سنه وشجاعته على حين كان البعض يخافه لقوته، كما تامر عليه الحاجب على خويشاوند وعمه يوسف بن سبتكتكين، فقبضوا عليه ونادوا بشعار أخيه مسعود، ثم دخل مسعود غزنة في جمادى الآخرة سنة ٤٢٢ هـ، واستطاع أن يضم إلى حوزته خراسان وغزنة وجرجان وسجستان وكرمان ومكران وأصبهان، والري وخوارزم وبلاد الجبل وبلاد الغور وبلاد الهند والسند[٤].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٣٢٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٣٤٨.

(٣)ابن الأثير: المصدر السابق ذكره ٧/ ٣٤٦.

(٤)ابن الأثير: المصدر السابق ذكره ٧/ ٣٤٧.

حاول مسعود الخروج على الخليفة العباسي ذلك أنه بعد أن ثبت ملكه سار إلى خراسان عازمًا على قصد العرق؛ لكنه ما لبث أن اضطر إلى متابعة المسير إلى العراق، وعاد من نيسابور إلى غزنة سنة ٤٢٤هـ عازمًا على التوجه إلى الهند لمحاربة أحمد بن بنالتكين نائبه بتلك البلاد الذي أعلن التمرد والعصيان وتمكن من إخضاعه وإرغامه على العودة إلى طاعته[١].

واجه السلطان مسعود زحف السلاجقة إلى خراسان، فسار من غزنة في أوائل سنة ٤٢٨هـ عندما سمع بما فعلوه بهذه الولاية واستولى على خوارزم، ثم سار من بلخ على سرخس، فتجنب السلاجقة لقاءه، لكن مسعود صمم على مقاتلتهم والتقى بهم في شعبان سنة ٤٣٠هـ، وأخذ مسعود مواجهة قوات طغرلبك إلى أن تم له النصر، وفي العام التالي ٤٣١هـ فتح قلعة بخراسان كانت بيد السلاجقة وبذلك تيسر له إجلاءهم عن خراسان على أن قوت السلاجقة بقيادة طغرلبك ما لبثت أن تقدمت إلى نيسابور واشتبك إلى أن تستعيد خراسان[٢]، فقصدهم مسعود في جيش كبير واشتبك معهم في معركة حاسمة عند دندانقان بالقرب من مرو في ٨ رمضان سنة ٤٣١هـ فأوقع السلاجقة هزيمة ساحقة[٣].

(١)ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٣٥.

(٣)ابن الأثير: المصدر السابق ذكره ٨/ ٢٧.